تقرير عن المنهجين التاريخي والمقارن

مادة الدراسات اللسانية/ الدكتور خالد خليل هويدي

قسم اللغة العربية / إعـــــداد علي محمد علي

**المـنهج المقـارن:** هـو دراسـة الظـواهر الصـوتية والصـرفية والتركيبيـة والمعجميـة في اللغـات الـتي تنتمـي إلى أسـرة لغويـة واحـدة ، وبيـان العلاقـات التاريخيـة بـين اللغـات الـتي تكـون بينها علاقة قرابة أو تعود إلى أسرة لغوية واحدة .

وكـان اكتشـاف السنسـكريتية ( لغـة الهنـد القديمـة ) سـنة١٧٨٦ م مـن طـرف وليـام جـونز السـبب الأسـاس لظهـور هـذا الفـرع مـن علـوم اللغـة عنـد الأوربـيين ، حيـث وجـه الأنظـار إلى الدراسـة المقارنـة علـى أسـس علميـة والـتي كانـت نقطـة تحـول في الدراسـة اللغويـة في أوربـا .فمـن المشـهور بـين البـاحثين أن الدراسـة اللغويـة المقارنـة لا توجـد إلا في العصـر الحـديث ، وبعـد اكتشـاف اللغـة السنسـكريتية . يقـول محمـد الأنطـاكي : " لم يفطـن أحـد إلى وجـود القرابـة بـين كـل هـذه الألسـن، ولم يظهـر المـنهج المقـارن إلا بعـد العثـور علـى اللسـان السنسـكريتي". . وقيـل قـد بـدأت في العصـر الوسـيط عنـدما قـام (دانـتي) بدراسـة اللـهجات الايطاليـة في كتابـه (بلاغـة العـوام) –وهـي دراسـة غريبـة في عصـره -واسـتنتج ان اللغـات الايطاليـة ومـا يجاورهـا مـن الرومانسـية وغيرهـا ترجـع الى اصـل لاتـيني. ويقـول الـدكتور عبـدة الراجحـي : إن الدراسـة بـدأت علـى يـد (بيـنش) عنـدما أعلنـت الجمعـة الألمانيـة مـنح جـائزة لمـن يكتـب بحثـا عـن أفضـل وسـيلة تعـبير وحصـل الأخـير علـى الجـائزة. فيمـا قـال اغلـب البـاحثين إن الدراسـة المقارنـة بـدات علـى يـد السـير ويليام جونز عام (١٧٩٦م).كما ذكرنا سالفا.

وهــذه المقولـة بـالرغم مـن شـيوعها ليسـت صـحيحة تمامـا ، علـى الأقـل بالنسـبة للدراسـات العربيـة.يقـول احـد البـاحثين : إن الفـرد المـتكلم بلغـة مـا يمكـن ان يقـارن بـين لغتـه ولغـة أخـرى حتـى وإن لم تكـن هـذا المقارنـة تشـتمل علـى اسـس المـنهج المقـارن . فقـد وجـدت منـذ القـرن العاشـر المـيلادي "الرابـع الهجـري" دراسـات مقارنـة قـام بهـا لغويـون متخصصـون، ومعظمهـا تم في المغـرب والأنـدلس علـى يـد لغـويين مسـلمين ويهـود سـجلوها باللغة العربية، نذكر منهم :

ابـن حـزم الأندلسـي ( ٤٥٦هــ ) يقـول في كتابـه "الإحكـام في أصـول الأحكـام " : ( الـذي وقفنـا عليـه وعلمنـاه يقينـا أن السـريانية والعبرانيـة والعربيـة ...لغـة واحـدة تبـدلت

مساكن أهلها ، فحدث فيها جرش كالذي يحدث من الأندلسي إذا رام نغمة أهل القيروان ،ومن القيرواني إذا رام نغمة الأندلسي ... وهكذا في كثير من البلاد فإنه بمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى تتبدل لغتها تبدلا لا يخفى على من تأمله... فمن تدبر العربية والعبرانية والسريانية أيقن أن اختلافها إنما هو من نحو ما ذكرنا من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان واختلاف البلدان ، ومجاورة الأمم وأنها لغة واحدة في الأصل" .

وإسحاق بن بارون ( القرن الحادي عشر الميلادي ) في كتابه :" كتاب الموازنة بين اللغة العبرية والعربية " الذي عقد فيه مقارنة بين اللغتين على المستوى النحوي فتوصل مثلا إلى أن التثنية والجمع يَتِمَّان في العربية بإضافة النون بينما العبرية تضيف الميم . وعلى المستوى المعجمي حيث جمع كل الجذور التي يتشابه نطقها ومعناها في كلتا اللغتين .

وقام المنهج المقارن بتصنيف اللغات إلى أسر أو مجموعات ، أهمها :

اللغات الهند أوربية : تضم عددا كبيرا من اللغات المنتشرة في منطقة شاسعة من الهند وإيران إلى أوربا .

اللغات السامية : تشمل العربية والعبرية والآرامية والأكادية والحبشية .

وإلى جانب هاتين الأسرتين الكبيرتين هناك أسر لغوية كثيرة أخرى .

وقد قسمت اللغات هذه التقسيمات بناء على مقارنات بينها أثبتت أن هناك أوجه شبه بينها على المستوى الصوتي والصرفي والنحوي والمعجمي ، مما يعني أن اللغات المنتمية إلى الأسرة نفسها قد انحدرت من أصل واحد مشترك تفرعت عنه لغات الأسرة كلها .

يسعى الباحثون المتخصصون في علم اللغة المقارن للتمكُّن من تبيان كيف نشأت اللغة في المقام الأول ، ووصف الظروف التي أدت إلى نشوئها . لكن السجلات المكتوبة تعتبر حديثة نسبيًا ؛ لأن الناس استخدموا أنظمة لكتابة الكلمات منذ حوالي ٥٠٠٠ سنة فقط ، بينما نجد أنهم استخدموا اللغات المنطوقة منذ فترة أطول . وبقدر ما يستطيع علماء اللغة تبيانه ، فإن لجميع ثقافات هذا العصر لغات متساوية في التعقيد . ولكل هذه الأسباب فإننا لا نعرف أي شيء تقريبًا حول أصل اللُّغة.

وكـي تـتم دراسـة اللُّغـة دراسـة مقارنـة وعلـى وفـق منهجهـا الصـحيح يسـتخدم البـاحثون المتخصصـون في علـم اللغـة المقـارن طـريقتين رئيسـيتين في دراسـتهم للغـة ، همـا : إعادة التركيب اللغوي الداخلي ، وإعادة التركيب اللغوي المقارن.

إعـادة التركيـب اللغـوي الـداخلي تنطـوي علـى اسـتخدام مرحلـة مـن مراحـل نشـوء لغـة مـا لتوضـيح خصـائص مرحلـة سـابقة لهـا ، أو مضـاهاة كلمـة أو صـيغة في لغـة مـا بنظيراتهـا في اللغـة ذاتهـا ، أي بالبنيـات الداخليـة ، ففـي العربيـة ـ علـى سـبيل المثـال ـ نجـد أن نمـط الأفعـال المعتـلِّ أَوَّلُهـا ( المثـال ) هـو: وَسَـمَ ـ يَسِـمُ ـ سِـمْ ـ وَعَـدَ ـ يَعِـدُ ـ عِـدْ ؛ لـذا يمكن افتراضًا أن نقيس على ما تقدم فنقول : وَصَفَ . يَصِفُ . صِفْ .

إعـادة التركيـب اللغـوي المقـارن : طريقـة يسـتخدم فيهـا عـالم اللغـة عـدة لغـات متشـابهة لإعـادة تركيـب لغـة افتراضـية تـدعى اللغـة البدائيـة ، ويفـترض عـالم اللغـة أن اللغة البدائية هي الأصل المشترك للغات التي جرت إعادة تركيب تلك اللغة منها.

فربمـا يقـارن عـالم اللغـة بعـض الكلمـات ، كالضـمائر في اللغـة العربيـة الجنوبيـة ، ومنهـا ضـمائر التثنيـة في اللغـتين السـبئية والمعينيـة باللغـة العربيـة الشـمالية (الفصـحى) . أو يقـارن بعـض الضـمائر الفينيقيـة كضـمير المخاطبـات والغائبـات بنظائرهـا في اللغـات السامية الشمالية الغربية الأخرى كالآرامية والعبرية .

وعلـى الـرغم مـن أن المـنهج المقـارن هـو مـنهج مسـتقل بحـد ذاتـه ولكـن معظـم الدراسـات المقارنـة لا يمكـن أن تـتم دون الاعتمـاد علـى منـاهج أخـرى مسـاندة مثـل المـنهج التحليلـي حتـى أن الكـثير مـن البـاحثين يقيمـون دراسـاتهم علـى مـنهج يطلـق عليـه المـنهج التحليـل المقـارن دلالـة علـى اعتمـاد المقارنـة علـى بيانـات تحليليـة ويمكـن أن يعتمـد علـى المـنهج التـاريخي للمقارنـة أو المـنهج التجـريبي أن الـبعض ذهـب الى أن المـنهج المقـارن "هـو مـنهج شـبه تجـريبي يختـبر كـل مـن العناصـر الثابتـة والعناصـر المـتغيرة لظـاهرة مـا في أكثر من مجتمع أو أكثر من زمان

وبنـاءً علـى ماتقـدم نقـول : إنَّ علـم اللغـة المقـارن يـدرس اللغـة في جميـع جوانبهـا : الصـوتية ، والصـرفية ، والنحويـة والدلاليـة ، وغايتـه مـن هـذه الدراسـة بنـاء الشـكل الأصـلي للغـة الأم في هـدي مقارنـة اللغـات الـتي تضـمها أسـرة لغويـة واحـدة " . ويعنـى باللغـات الحيـة والميتـة ؛ " لتأصـيل الظـواهر اللغويـة أو الحضـارية ويعـدها وثيقـة تاريخيـة ضرورية" . .

رواد المنهجين التاريخي و المقارن:

في السَّبعِينِيَّاتِ من القرن التسع عشر ظهر ما يُسَمَّى بـ ( النُّحاة الشباب ) أو ( مدرسةِ النَّحويِّينَ الشَّبابِ ) في ألمانيا ؛ وتسلَّمُوا زِمَامَ القِيَادَةِ في الدِّرَاسَاتِ اللسانِيَّةِ في نهاية القرن التَّاسِعَ عشر لاسيَّما في ألمانيا ، واتَّبَعُوا المنهجَ التَّارِيخِيَّ المقارن الذي اكتسب على أيديهم طابَعَهُ المنهجيَّ وأُسُسَهُ النَّظَرِيَّةَ .

يقول محمود السعران في كتابه (علم اللغة مقدمة للقارئ العربي): (هناك حقيقة كبرى هامة في تاريخ الدراسات اللغوية التي أدت إليها أبحاث المدرسة الألمانية، وهي اصطناع مناهج في دراسة اللغة أدق من المناهج السابقة عليهم) ومنهم:

**فريدريش شليجل** (بالألمانية: Friedrich Schlegel)، هو كاتب وشاعر وناقد ألماني. ولد عام ١٧٧٢ في مدينة هانوفر، ومات عام ١٨٢٩ في مدينة درسدن. درس فريدريش شليجل منذ عام ١٧٩٣ الحقوق واللغات القديمة. ويعتبر المنظر الحقيقي للرومانسيين الأوائل. ويعد أول من دعا الى النحو المقارن عام (١٨٠٨م) في كتابهِ (عن اللُّغة والمعرفة عند الهنود)

**فرانس بوب Franz Bopp** باحث لغوي ألماني، ولد في مدينة ماينتس على نهر الراين، وتوفي في برلين. بدأ بتعلم اللغة السنسكريتية عام ١٨١٢ في باريس، من أجل دراسة مخطوطات لغوية، ثمّ انتقل إلى لندن عام ١٨٢٠ للغرض ذاته، وأصبح أستاذاً للآداب الشرقية ونظرية اللغة العامة في جامعة برلين حتى ١٨٦٤. ويعد مؤسس النحو المقارن إذ قدم في العام ١٨١٦م دراسات مقارنة لم تسهم في تنظيم المنهج المقارن فحسب، بل جعلت اللسانيات تتجه الى النظامية والتنظيم. وعلى الرغم من أن السير ويليام جونز هو اول من اكتشف العلاقة بين اللغات الهندو اوربية ، إلا ان بوب كان قد صرح بها سابقا وقال بوجود علاقة بين اللغات ويمكن ان تصبح مجالا للدراسة – بحسب قوله -.

يعد بوب مؤسساً لقواعد اللغات الهندية ــ الجرمانية المقارنة، ففي بكتابه «حول نظام الصرف في اللغة السنسكريتية بالمقارنة مع اللغات اليونانية واللاتينية والفارسية والجرمانية» الصادر عام ١٨١٦ بدأ مرحلة جديدة في دراسات علم اللغة في أوربا، حيث أثبت علاقة اللغة السنسكريتية باللغات الأوربية في اثناء مقارنة بنية صيغ الفعل فيها وفي اللغات اللاتينية والجرمانية بهدف توضيح نشوء الصرف والإعراب،

معتبراً أن المقاطع الملحقة بالفعل Suffix كانت سابقاً كلمات مستقلة، واستخدم للتعبير عن آرائه مصطلح «نظرية الإلصاق» ، ثم أضاف إلى هذه اللغات اللغة اللتوانية والسلافية القديمة والأرمنية. وفي كتابه «النحو المقارن» طبّق بوب نظريته على جميع صيغ الصرف، وبحث طرائق لفظ الأحرف الصوتية في كل لغة، بالمقارنة مع الأخرى.

**راسك:** نشر في عام ١٨١١ أول عمل مستقل له وهو كتاب منهجي في قواعد اللغة الأيسلندية، وقد نُشِرت ترجمة إنكليزية للكتاب عام ١٩٧٩. انتقل راسك فيما بعد إلى أيسلندا حيث أقام فيها مدة عامين (١٨١٣ -١٨١٥) قضاهما في التعمق بدراسة اللغة الأيسلندية والاطلاع على الأدب والعادات والتقاليد هناك. وفي تلك المرحلة ألّف العمل الذي خلّد اسمه، ونشره عام ١٨١٨م، وكان بعنوان «بحث في أصول اللغة الاسكندنافية أو الأيسلندية القديمة» إذ ينطوي بالدرجة الأولى - فضلاً عن تقصي أصول اللغة - على دراسة تحليلية مقارنة بين اللغات الاسكندنافية من جهة واللاتينية واليونانية من جهة أخرى. ومن أهم إنجازاته في هذه الدراسة أنه بيّن وجود رابط بين اللغة الاسكندنافية القديمة واللغة (القوطيّة)، وبين اللغة الليتوانية وكل من السلافية واليونانية واللاتينية. كما أنه كان أول من بيّن أن الكلمات في اللغات الجرمانية تختلف من حيث أصوات أحرفها الصامتة عمّا يقابلها من كلمات في اللغات الهندية الأوربية الأخرى، وذلك وفق نمط معيّن ومنتظم بعض الشيء. وفي الحقيقة انه اسبق من بوب لكن إلحاحه على ادخال الظواهر التاريخي في الدراسات المقارنة أمر جعل الكثير من اللسانين يعدوه من مؤسسي اللسانيات الزمانية(التاريخية).

**جاكوب جريم (١٧٨٥ -١٨٦٣)** : هو مؤلف (النحو الألماني) ، إذ كان له الفضل في دراسة اللغة الجرمانية وخصائصها النحوية والصرفية والصوتية ، وفي جزء الكتاب الثاني درس جريم الصوامت الجرمانية ومناظراتها من الصوامت الأخرى (الهندو أوربية) الأمر الذي حدا به إلى إرساء قاعدة عامة تشمل القوانين الصوتية للغات ، وهذا ما يعرف (بقانون جريم) في اللسانيات. أو قانون التحولات الصوتية إذ أجرى العديد من البحوث التطبيقية الصوتية ، قارن فيها بين بعض اللغات ، ومن بين ما توصل إليه أن هناك تبادلا بين اللغات فيما يتعلق بحرفي f وp ( مثلا الكلمة اللاتينية patsr ( أب ) تحول فيها حرف p إلى f في الإنجليزية (father ) بينما ظل كما هو في الفرنسية ( père ).

**المنهج التاريخي**: هو تتبع تطور الظاهرة اللغوية أو اللغة أو اللغات من مرحلة تاريخية إلى مرحلة أخرى عبر الزمن، فيقوم الباحث بوصف المراحل التي مرت بها هذه اللغة، والعمليات المرتبطة بها؛ لأن كلّ لغة وليدةٌ للتطور التاريخي الذي تمر به، هذا التطور تدخل فيه مؤثرات عديدة متباينة؛ لذلك كانت اللغة أكثر من أي ظاهرة اجتماعية أخرى قابلة للتفسير بفضل المنهج التاريخي؛ ويطلق الباحثون على هذا النوع من الدراسة "المنهج التاريخي".

لقد أخذ "علم اللغة" الحديث في الظهور في مطلع القرن التاسع عشر في صورة "نحو تاريخي مقارن"، واستمر على هذه الصورة زمانا.

وقد أدى هذا إلى الكشف عن الخصائص الأساسية للغات الرئيسية في العالم، وإلى دراسة لغات كثيرة وإلى الوصول إلى ما بينها من "نسب".

إن ميدان البحث التاريخي يدور حول تطور اللغة الواحدة عبر القرون، فيدرس التطورات التي مرت بها من الناحية الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، ونتائج هذا المنهج تعتمد في المقام الأول على المعطيات والثمار التي يمدنا بها المنهج الوصفي؛ لأن المنهج الوصفي يقدّم نتائج دراسة اللغة في فترة زمنية محددة، فيقوم رواد المنهج التاريخي بمتابعة الظاهرة وملاحظة تطوّرها عبر العصور، في محاولة جادة لكشف ملامح التطور والتغير، فالمنهج التاريخي يعتبر مجموعة النتائج المتتابعة على مر العصور للمنهج الوصفي، أي في سلسلة تاريخية متصلة الحلقات.

على سبيل المثال المعجم العربي فيه ألفاظ تدل على مظاهر الحياة البدوية السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغير ذلك؛ فإذا أردتَ الوقوف على حضارة أمّة فانظر في المعجم الخاص بهذه الأمّة، كما يمكِّن المنهج التاريخي الباحثين من الوقوف على أصل الوضع اللغوي لاستعمال الكلمات والتراكيب اللغوية، وكيف انتقل هذا اللفظ، وما هي مظاهر التغير التي طَرأت على هذا اللفظ أو على هذا التركيب، كما يساعد الباحثين في سد عجز المصطلحات العلمية في العصر الحديث.

و الدراسات التاريخية للغة كانت مرفوضة وغير مرغوب فيها بتاتا عند اللسانيين. إذ لم يتقبلوها إلا في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي . وذلك راجع إلى كون التاريخ في نظرهم لا يدرس الأشياء والظواهر اللغوية ، وإنما يدرس حياة الأمم

السالفة . وتتطلب هذه اللسانيات جهدا أكبر إذ يتعين على اللساني معرفة اللغة الأم، وجميع اللغات المتفرعة عنها قديمة كانت أم حديثة .إنه حسب ماريو باي عمل شبيه بعمل الشرطة السرية المتمثل في التقاط المفاتيح وجمع الجزئيات وربط بعضها ببعض. ومن الجدير بالذكر أن بعض العلماء اللغويين كانوا يعدون المنهج التاريخي المنهج الانسب وان البحث اللساني هو بحث تاريخي رافضين بذلك المنهج الوصفي في اللُّغة، ونجد ما هو ضده هذا الموقف ، ماقاله سوسير : يجب دراسة اللُّغة وفق المنهج الوصفي بتثبت عنصر الزمن والتوقف عن دراسة اللُّغة على وفق المنهج التاريخي.

## {مصادر التقرير}


١. الإحكام في أصول الأحكام، أبو محمد علي بن حزم الأندلسي (المتوفى: ٤٥٦هـ)،تح: أحمد شاكر، قدم له: إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٢. أساليب البحث العلمي، جميل صليبا ،منشورات عويدات ،بيروت ،لبنان ط٢ ،١٩٨٧م.

٣. اسس علم اللغة ، ماريو باي ، ترجمة احمد مختار عمر،عالم الكتب،القاهرة، ط ٨، ١٩٩٨م.

٤. اتجاهات البحث اللساني، ميلكا ايفيتش،ترجمة: سعد عبد العزيز مصلوح،ووفاء كامل فريد، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠.

٥. عصور الأدب الألماني (تحولات الواقع ومسارات التجديد) ، باربارا باومان، و"بريجيتا أوبرله"، منشورات عالم المعرفة، فبراير ٢٠٠٢، العدد ٢٧٨.

٦. علم اللغة العام، فرديناند دي سوسير، ترجمة يوئيل يوسف عزيز، مراجعة د.مالك المطلب، دار آفاق عربية ، بغداد - ١٩٨٥م.

٧. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، دار الفكر العربي، طبعة ٢ - القاهرة ١٩٩٧م.

٨. علم اللغة، حاتم الضامن، جامعة بغداد، بيت الحكمة، (د.ت).

٩. فقه اللُّغة في الكتب العربة، عبدة الراجحي، درا المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٨م.

١٠. اللسانيات النشأة والتطور، الاستاذ احمد مومن، معهد الدراسات الاجنبية، جامعة قسنطينة، الجزائر، ط٢٠٠٢م.

١١. اللغة وعلم اللُّغة، جون ليونز، دار النهضة العربية، ط١.

١٢. محاضرات في اللسانيات العامة (سلسة محاضرات على وفق مقررات اللسانيات في الجامعات العراقية)، الدكتور خالد خليل هويدي، الدكتور نعمة دهش الطائي، مكتبة نور الحسن ، بغداد، ٢٠١٥م.

١٣. محاضرات في علم اللغة العام، د.البدراوي زهران، دار العالم العربي، القاهرة، ج٢، ط١، ٢٠٠٨م.

١٤. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٣، ١٤١٧هـ.

١٥. مدخل الى علم اللغة، محمد حسن عبدالعزيز، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٩١م.

١٦. مدخل الى علم اللغة، محمود فهمي حجازي، دار قباء، القاهرة، (د.ت).

١٧. مناهج البحث اللغوي ومدارسه، إبراهيم محمد إبراهيم، مقال، جامعة عمر المختار.

١٨. مناهج البحث اللغوي، د. أسيل سامي أمين، جامعة القادسية / كلية الآداب، قسم اللغة العربية.(سلسلة محاضرات).